مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد (06)، العدد (01)، السنة (2021)، ص 211- 218
ISSN: 2602-5566 EISSN: 2716-8999

فلسفة الفعل واستدعاءات الراهن العربي

(المجتمع العربي: الواقع والمستقبل)

The philosophy of action and the Arab current

Arab society: the reality and the future.

صفية بن سعيدي[1]*، فارح مسرحي[2]

[1] مخبر: حوار الحضارات والعولمة، جامعة الحاج لخضر باتنة (الجزائر)، E-mail safiabensaidi1992@gmail.com

[2] مخبر: حوار الحضارات والعولمة، جامعة الحاج لخضر باتنة (الجزائر)، E-mail m.fareh@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2021/05/10 تاريخ القبول: 2021/06/18

ملخص:

نعالج من خلال هذه الورقة البحثية مشكلة فلسفة الفعل، ونحاول من خلالها أن نجد حلولا للمشاكل التي يتخبط فيها العالم العربي، فإذا كانت فلسفة الفعل في الأساس تنبع تحت ضغط الواقع والسؤال، فإنها لا بد وأن تتجاوز فلسفة الوجود والتنظير نحو محاولة التغيير. وهذا ما نحن اليوم كعرب في أمس الحاجة إليه للخروج من أزمات الراهن، ولربما هذه النقلة لا تتحقق إلا اذا تم تفعيل جملة من الشروط أبرزها الحوار الحضاري، لننتهي في الأخير إلى تحقيق حضارة إنسانية. وهنا نتساءل: ماهي أسس هذه الفلسفة؟ وكيف نستطيع الاستفادة منها لتغيير الواقع والتأثير في اليومي؟

الكلمات المفتاحية:

فلسفة فعل؛ عالم عربي؛ فلسفة وجود؛ حوار حضاري؛ يومي.

Abstract

Through this research paper we present the idea of the philosophy of action and we try to find solutions to the problems in which the Arab world is floundering. What we-Arabs- today desperately need to get out of the crises of the present. And perhaps this shift will not be archived unless a set of conditions has been archived. The most prominent of which is civilized dialogue. How can we us it to change reality and influence in the daily?

Keywords

Philosophy of action; The Arab world; The philosophy of existence; Civilizational dialogue; Daily.

* المؤلف المرسل

1- مقدمة:

لقد أصبحت اليوم مقولة الوجود مقولة فلسفية تقليدية إن كان بالإمكان توصيفها بهذه الصيغة فالإنسان اليوم يدرك وجوده ووجود العالم من حوله لكن أكذلك يدرك وجود الفلسفة؟ هذا الذي أصبح هما يشغل بال المفكرين الحداثيين وما بعد الحداثيين هل ما تزال الفلسفة تحافظ على تلك الوظيفة التقليدية "الإمعان في الوجود بما هو موجود"؟

لقد قوض بعض الفلاسفة ونخص منهم الفلاسفة المعاصرين تحديدا مفهوم الفلسفة، بل وحتى الوظيفة التي من المفترض أن تضطلع بها الفلسفة، فعلى حد تعبير جيل دولوز(Gilles Deleuze يناير 4/1925 نوفمبر1995)الفيلسوف الفرنسي المعاصر فالفلسفة هي إبداع وخلق وصنع متكرر للمفاهيم لكن هل يصدق هذا التوصيف الدولوزي حقا على هذا المجال المتميز من التفكير؟ خاصة وأنه مع نهاية القرن الماضي واجهت الفلسفة مأزقا شديدا فتطور العلوم الطبيعية لزم ونتج عنه حتمية أن فقدت الفلسفة معظم مواضيعها وضيق ذلك الخناق على سلطة التفكير الفلسفي وحد منه، وهاهنا وعند هذه النقطة وجد البعض أن الفلسفة أصبحت خالية من المعنى وما عاد لها قيمة ولا فائدة.

وفي كل الأحوال كان التحول والمهرب الذي تعين على الفلسفة أن تتجه نحوه هو تلك التحولات اللغوية التي تنطلق في الأساس من فلسفة كل من هايدغر(Martin Heidegger 26 سبتمبر 1889 /26 ماي 1976) وفيدجنشتين(Ludwig Wittgenstein 26 أفريل 1889 /29 أفريل 1951)، ومع ذلك فقد تفطن الكثير إلى أن هذا التوجه ما هو إلا مراوغة فلسفية من نوع خاص، والهدف منها لا يعدو كونه الحفاظ على الفلسفة من الزوال والاضمحلال وبالتالي من أن تقصى كمجال معرفي، وهذا ما فتح الباب واسعا على مصراعيه أمام المفكرين فما طفقوا يتساءلون حول المابعديات، ماذا بعد الفلسفة؟

وانطلاقا من كل هذا كان لزاما على الفلسفة أن تبحث عن طريقة جديدة تعيد من خلالها الحيوية إلى موضوعاتها بل وحتى طريقة التفكر فيها، وهنا بالتحديد برزت ضرورة أن تكون الفلسفة فاعلة أن تكون ذا فاعلية ومعنى هذا بالأحرى أن لا تتوقف كمجال معرفي حر عند حدود التأملات المجردة والمحصنة فإذا كانت الأطروحة الحادية عشر لماركس(Karl Marx 5ماي 1818/ 14 مارس 183) تقول بأن الفلاسفة لم يفعلوا غير أن أولوا العالم بطرق مختلفة بينما المهم تغييره، فهل هذا يعني بأنه محكوم عليها بالتأمل؟ ألم يحن الوقت بعد للانتقال إلى مستوى آخر من الدرس الفلسفي؟ ألم يحن الوقت بعد حسبما يقول غارودي(Roger Garoudy 17 جويلية1913 /13 جوان2012) ليصبح مقضيا علينا بالفعل بدل الوقوف على أطلال التنظيرات والتأملات؟ ثم أليس من المشروع أن ينتقل القول الفلسفي من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل؟

ولنحصر اهتمامنا بخصوص الفلسفة في الوطن العربي هل يمكن القول بأن للعرب فلسفة، وإن كان ذلك فهل قدمت هذه الفلسفة للوطن العربي ما قدمته لغيره؟ ثم كيف يستفيد المواطن العربي هذا الذي مر بغير قليل من الأزمات من الفلسفة في خدمة راهنه ولم لا في التطلع إلى المستقبل واستشرافه وبذلك إلى تحقيق ذاته؟ وهل يمكن القبض في هذا السياق على آليات أو لنقل ميكانيزمات فلسفية معينة للتغيير؟

إذا وانطلاقا من سلسلة الأسئلة الآنفة الذكر سنحاول التعرف على فلسفة الفعل هذه كي نكون أقدر على مقاربتها بالواقع العربي فنعرف إذا ما كان بالإمكان لها أن تغير من الأمر شيئا.

2- فلسفة الفعل: المعنى والتأصيل.

2-1- الدلالة اللغوية:

إن حديثنا عن الفعل من الوجهة اللغوية يحيلنا مباشرة إلى أقسام الكلام في اللغة إذ تعد مسألة التفريق بين أقسام الكلم أساسا في تعيين المعنى المقصود في الجملة، ذلك لأن معرفة نوع الكلمة يقود إلى معرفة المعاني التي

تتضمنها الجملة في ضوء معرفة القرائن الأخرى، لذا نرى كتب النحاة تبدأ في الغالب بتقسيم الكلم إلى ثلاثة أقسام هي: الاسم الفعل والحرف" (كريم و ناصح، 2001، صفحة 178)) وأما الفعل - وهو غايتنا بصرف النظر عن الاسم والحرف- "فجمع فعال وأفعال، ج أفاعيل". (مسعود، 2003، صفحة 670)

يقول سيبويه(796/765): " إن الفعل أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع" (قنبر، 1988، صفحة 9) ويقول محمد شاكر السياب(25 ديسمبر 1926/ 24 ديسمبر 1964) معلقا على سيبويه : " أن الفعل ينقسم بأقسام الزمان، ماض وحاضر ومستقبل، وسيبويه حين حدَّ الفعل في أول كتابه لم يرِد أمثلته التي عندنا : ذهب ماضٍ، يذهب مضارع، اذهب أمر. بل يريد أزمنته المقرونة كما هي عند العرب". (قنبر، 1988، صفحة 9)

إذا فالفعل من الناحية اللغوية شطر رئيس في الجملة، فهو "كل ما دل على معنى في نفسه مقترن بزمان كجاء، وجيء ويجيءَ، وعلامته أن يقبل "قد" أو " السين "، أو " سوف " أو "تاء التأنيث الساكنة"، أو ضمير الفاعل أو نون "التوكيد "، مثل قد قام، قد يقوم، سنذهب، سوف تذهب، قامت، قمتُ، قمتِ، لَتَكتُبَنَّ، اُكتبنَّ، اُكْتُبْنَ ". (الغلاييني، 2005، صفحة 12)

2-2- الدلالة الاصطلاحية:

تدل لفظة الفعل في الاصطلاح على الحدث أو على وقوع الحدث في زمن معين وفق آلية ما، أي أنه:" ما دل على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة" (الأنصاري، 2002، صفحة 37). إلا أن حديثنا عن الفعل بهذه الصيغ وفي إطار هذه السياقات السابقة لا يعني أن الفعل محصور في إطار فيزيائي بحت يجعله وكأنه نشاط فيزيائي يتوقف عند حدود الجهد وما تبعه من مؤشرات فيزيائية، كما لا نعني بالفعل مجرد الصيغ اللغوية المقترنة بالزمن، بل يجب علينا أخذ هذا المفهوم إلى أبعد مما قد يبدو بالإمكان فقد تحدث مثلا الأدباء والشعراء عن الفعل في إطار بعيد عن الممارسة اللغوية الجافة له، فهذا مثلا محمود درويش(13 مارس 1941/ 9أوت 2008) الشاعر الفلسطيني يقول في معرض إحدى قصائده:

"أين نحن السائرون على خطى الفعل ؟! " (درويش، 2004، صفحة 94) ويضيف :"فليت للفعل موطئا فوق الرصيف..." (درويش، 2004، صفحة 94)إذا يعطينا درويش ويقدم لنا ها هنا بعدا آخر للفعل الذي يطرح نفسه على أنه يتحدد بوصفه السلوك الحقيقي للإنسان وعلى أنه " يحقق وينتج المعنى " (كورتيس، 2007، صفحة 171)، فالإنسان الفاعل هو دوما وأبدا إنسان محقق لوجوده ومتوصل إلى إدراك المعنى. من هذه الأفكار كلها نخلص إلى أن مفهوم الفعل يقع في إطار علاقة تراوحية تذهب به وتجيء، علاقة ما بين الميوعة التي يفرضها عليه اختلاف معانيه وتذبذب قدراتنا وعلى عجزنا على الإمساك به إمساكا يوفر لنا نوعا من الطمأنينة، وبين الصلابة التي نبتغيها والتي من الممكن أن نجدها - أو على الأقل نطمع في إيجادها – ضمن الإطار الفلسفي.

3 - السؤال الناقد كآلية للتغيير:

إن الفلسفة الحقة إذن هي تلك التي تتصرف، تفعل شيئا ما إزاء الواقع فلا تقف منه موقف المتفرج الأبله، بل موقف الفاعل. إنها تلك التي تجعل من صاحبها – وأقصد الفيلسوف – يعيش الواقعة الفلسفية بكل تفاصيلها حتى البسيط والتافه منها ولا يتوقف عند حدود زيف الواقع، إن الفلسفة« تحصر المعنى، أي التفكير في الغايات وفي معنى الحياة، والمشاركة في العمل الرامي إلى تحقيق هذه الغايات» .(كورتيس، 2007، صفحة 160)

إن مهمة الفلسفة هي أن تكون راهنا دوما، أن تجعل من الإنسان أكثر إنسانية من خلال وضعها لمبادئ الإنسانية هذه وحثه على طلبها. إن الفلسفة اليوم لا ينبغي لها أن تكون تأملية بالمعنى اليوناني القديم، ولا تواصلية

ولا حتى تفكيرية علمية، إن ما يجب أن تضطلع به الفلسفة حقا اليوم هو الفعل، فعل التغيير هو أن تسعى بهذا الإنسان إلى ما هو أفضل، هو أن تحمي الإنسانية هو أن تقول لا لموت الإنسان !! هذه هي الفلسفة التي نريدها، هذه هي الفلسفة التي يفترض بنا تبنيها والعمل على نشرها.

إن مهمة الفلسفة هي « مساعدة الأحياء على حل المشكلات التي تطرحها الحياة، هي مساعدة الإنسان على أن يصنع بوعي تاريخه هو» . (غارودي، 1986، صفحة 56)وعندما تهتم الفلسفة "بإثبات" عجز الفكر البشري، وعدم قدرته على معرفة العالم الواقعي، واستحالة تبديل الواقع، فتلك أبلغ دلالة على انحطاطها، فذلك لأنها صارت خادمة طبقة لم تعد تقبل بالواقع حكما لأفكارها (وهذه طبيعة الفلسفة التقليدية التي تهتم بالمجرد من الموضوعات) مثل هذه الطبقة التي حكم عليها بالموت، لا تستطيع أن تحاول تخليد النظام القائم إلا بمنعها الفكر من أن يعي فوضى الواقع. إنها فلسفة عاجزة بهذا التوصيف لأنها لا تمتلك القدرة على تفعيل التفكير.

إن فلسفة الفعل التي نعني هي« صيغة الفكر التي تستجمع صيغة الوجود التامة للكيان الإنساني في العالم بقدرتها على التنقل في مسافة التعاكس التكويني بين صعيدي النظر والعمل» (العيادي، 2007، صفحة 9)، أو هي« النشاط الإجرائي الذي يجسد التساتل أو اللَّم ويضطلع بالصيرورة حتى وإن كانت صيرورة الهوامل والسوالب والأنباذ وبالتالي فإن فلسفة الفعل مفهومة على هذا النحو لا ترتد على فلسفة سياسية، ولا إلى إنثربولوجيا فلسفية، بل هي فلسفة عامة بالمعنى الذي تكون به الفلسفة خطابا مفتوحا» .(العيادي، 2007، صفحة 9)

3-1- السؤال كنقلة من النظر إلى الفعل:

قد جعل روجيه غارودي الانتقال من فلسفة الوجود نحو فلسفة الفعل منوطا بالسؤال، أو لنقل بفعل التساؤل والمساءلة الدائمة التي تميز الفكر الفلسفي قاطبا، فلكي يصبح الفكر واعيا وحرًّا لابد له من تحريك دواليب المساءلة والنقد، وأن يستثير نوعا من الغضب الفكري والإحراج، ولأجل هذا نتساءل كيف يكون فعل التساؤل نقلة نحو الفعل الفلسفي؟

إن الإنسان ليس مجرد امتداد وتفكير فقط، بل هو وجود، حياة وفكر، نزوع ووجدان، ولكي يعبر الإنسان عن هذا الوجود ويحققه في الواقع فهو يفكر ويعمل، يفعل وينفعل، يحب ويكره، يتحدى ويستجيب، يقبل ويرفض...يريد...ويسعى إلى تحقيق إرادته هذا هو الإنسان دائم البحث، كثير الشغف، والرابط الوحيد بين كل ما قدمنا من توصيفات هو التساؤل وعليه سنعرج على عرض مفاهيمي بسيط للسؤال لغة واصطلاحا. فالسؤال في اللغة« من الفعل سأل يسأل مسألة وسآلة وتسآلا، بمعنى الطلب أو المطلب» . (لالاند، 2001، صفحة 1095) أما من الناحية الاصطلاحية فهو استدعاء واستحضار للمعرفة أو ما يؤدي إليها. ولعل أهم ما تشتهر به الفلسفة هو ممارساتها التساؤلية، وأشهر من مارس السؤال في هذا المضمار هو أبو الفلسفة سقراط(Socrates 470 /399)، غير أن السؤال الفلسفي لم يتخذ عنده شكلا محددا ومع هذا نستطيع أن نميز فيه بين شكلين هما على التوالي، السؤال العلمي والسؤال الفلسفي وفي هذا الطرح لا نحتاج إلى السؤال العلمي بقدر ما سنناقش النوع الثاني. ولعل هناك تقسيمات أخرى تتناسب أكثر وطرحنا للموضوع وخاصة ما يعرض له الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن(1944) حين يقسم السؤال الفلسفي بذاته إلى: السؤال اليوناني القديم والسؤال الأوروبي الحديث. (الرحمن، 2006، صفحة 13)

فأما الأول: فقد كان عبارة عن عملية فحص وتمحيص، تبدأ بسؤال عام عن مفهوم ما يليه جواب ينبع عنه سؤال آخر، وهكذا تتوالد الأسئلة في الفلسفة. وأما الثاني: فهو سؤال يمكن توصيفه بالنقد لا بالفحص كما رأينا مع النوع الأول. لكونه يميل إلى تقليب القضايا والتحقق من تمام صدقها اعتمادا على ملكة العقل، إنه سؤال يوجب النظر في المعرفة، وبقصد الوقوف على حدود العقل (الرحمن، 2006، صفحة 14)- وهنا نتذكر مع الفيلسوف

مقولة كانط(Immanuel Kant 1724 / 1804):« لا أعني بالنقد نقد المؤلفات والأنساق، بل أعني به نقد قدرة العقل عامة شأن كل المعارف التي يمكن أن ينحو باتجاهها العقل باستقلال عن كل تجربة كما أقصد به الإقرار بإمكانية أو استحالة الميتافيزيقا عامة» . (كانط، 2007، صفحة 136) – وخير مثال على هذا النقد فلسفة كانط، وكنا قد أشرنا لموقفه في أسطر سبقت، حيث سمي قرنه بقرن النقد.

إن السؤال الفلسفي بطبعه مستغلق مستعص على الأخذ بكل حيثياته، إنه ليس من طينة الأسئلة العلمية ولا غيرها إنه ذو فرادة خاصة. ويصرح في هذا الصدد "روبير بلانشي"(Robert Blanché 1898 / 1975) قائلا عن السؤال الفلسفي: "هو بحث عن الجذور وتقص للأصول وغوص في الأعماق" (الوقيان، 2007)والفلسفة هي السؤال الكبير الذي يبرر كل الأسئلة ويمنحها المشروعية. ومن أجل هذا فقد اهتم الفلاسفة وركزوا بشكل حصري على السؤال لأنه شرط ضروري للتفكير، وباعث أساسي على التأمل، ومتى ما استطعنا إثارة السؤال، فقد أصبحنا عندها وعندها فقط على العتبات الأولى لفعل التفلسف، وعندما نتحدث بهذه الطريقة عن السؤال وأهميته فلسفيا فهذا لا يلزم أن تكون غاية الفلسفة ككل هي التوصل إلى إجابات مقنعة حول المواضيع التي تطرحها أو تحملها لأسئلتها. بل إن الغاية من الفلسفة هي جعل الناس يفكرون ويجد في إشكالات الحاضر ليدركوا الرهانات اليومية التي يمرون عليها دون وعي بها -أي غاية الفلسفة- ويكفيها غاية وعملا أن توقظ النائمين من سباتهم، والناعمين في لذاتهم لكي يعيدوا التفكير من جديد في كل ما يحيط بهم، لكي يعيدوا التفكير في مسألة المعنى، فالبحث الفلسفي هو بداية ونهاية بحث عن المعنى، فإذا فقدنا هذا المسار في البحث فإن الوجود الإنساني سيصبح مثل وجود القضايا الميتافيزيقية، وجود فارغ خال من المعنى وأجوف إلى حد بعيد، عندها سنقف أمام احتضار الفلسفة بل وموتها. فماذا يبقى منها إذا لم تعد هي هي ذاتها، ذات الخصائص والمقومات والغايات، لقد أصبحت أو تصبح آنذاك كياناً غريباً عن نفسه. وهكذا يموت أجمل حلم لدى الإنسان ... حلم أن يجد خارج آفاق وجوده وجودا آخر يساعده في حمله الثقيل. وأقصد السؤال الفلسفي عن معنى وجوده أو فلسفة السؤال عن وجود المعنى .

وقد يفقد الإنسان القدرة على التساؤل فتطغى التفاهة والابتذال على تفكيره وهذا ما نص عليه حتى هايدغر فيقول في كتابه نداء الحقيقة: « حين تجد الناس يثرثرون فيما لا يعرفون ويتكلمون عن كل شيء ولا شيء فاعلم أنهم فقدوا العلاقة بالحقيقة، بالموضوع الذي ينصب عليه الكلام واندفعوا في دوامة من القيل والقال بغير قرار، وعندئذ يتعذر على أي إنسان التعمق في أي شيء، ويوصد باب المعرفة والتساؤل الحقيقي» . (هايدغر، 1977، صفحة 61)

إن السؤال الثقيل ذا الوزن المعتبر فلسفيا هو وحده الذي من شأنه إدخال الإنسان إلى فضاء الفكر الفلسفي وهنا يجب أن نشير ونؤكد مع المفكر الجزائري عبد الرحمن بوقاف(23 جانفي 1951) أن« السؤال ليس بريئا» . (بوقاف، 2009، صفحة 6) ليس بريئا من وجهة أنه يختلس النظر في الوجود والموجود، ليس بريئا من حيث أنه يحمل المضمر المعرفي والمخفي غير المعلن وغير المصرح به، ومن ها هنا استمد البحث في السؤال مشروعيته.

ولنعد إلى الوراء قليلا ونتوقف عند طه عبد الرحمن وتحديدا في مؤلفه الموسوم بـ: الحق العربي في الاختلاف الفلسفي لنعيد معه إحصاء أنواع الأسئلة في الفلسفة. فهو يحصرها في ثلاثة أنواع، أولها السؤال التفحصي التأملي عند اليونان، ثم السؤال النقدي مع كانط، وهو سؤال عن إمكانية الذات العارفة في الإحاطة بالموضوع، وأخيرا السؤال المسؤول الذي يلتزم فيه صاحبه بثمار السؤال فيتحمل تبعات سؤاله والجواب الذي ينتهي إليه. ومن خلال هذه الرحلة التطورية لصيغ وحمولات السؤال فإننا سنجد إجابة عن التساؤل الذي طرحناه من قبل وهو: كيف يربط السؤال بين الفلسفتين الوجود والفعل؟ فقد كان السؤال مع أول خطواته وجوديا، يدوّر إشكالاته وإشكالياته حول موضوع هذا الوجود أو لنقل مبحث المعرفة بشكل عام. إذا كان آنذاك السؤال محصورا فيما يلي: "ماذا

يمكنني أن أعرف؟". فبعد أن تجاوزنا هذا السؤال التقليدي أو ما يعرف بسؤال المعرفة، فإننا بهذا نطرح ونفتح الباب لنوع آخر من الأسئلة إنه سؤال الفعل: ماذا نفعل؟ وكيف نتصرف إزاء ما تعلمناه أو ما حصلناه من معارف؟

إن سؤال الفعل هو سؤال الراهن. سؤال عن الآليات و الميكانيزمات، إنه سؤال نشط وفوار. ذلك أنه لا يتوقف عند حدود المساءلة عن الأسباب والعلل، إنه يتجاوزها إلى ما هو أبعد من ذلك، إلى الحل إلى الفعل والتحرك، أجل إنه سؤال تحركي داخل النشاط الفلسفي، هكذا يراه روجيه غارودي، بل هكذا يأمر و يتمنى الرجل أن تكون الفلسفة برمتها، فلسفة للحاضر للمستقبل، إنها بالأحرى فلسفة لليومي، للكل لا للواحد والنخبة، فلسفة تلغي كل حواجز وعثرات الواقع، فلسفة لا تقبل بأحادية التأمل، إنها وبكل بساطة فلسفة تنقلنا من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، فتجعل منا كائنات موجودة بحق، فلا يتوقف وجودنا معها عند الوجود العيني المجرد ولا عند الحضور الجسدي المحض بل عند إثبات هذا الحضور من خلال التحرك والفاعلية، فليس الموجود ذلك الذي نراه، بل هو ذلك الذي يفرض نفسه، ذاك الذي يقول ها أنا ذا بأفعاله بالأثر.

إذا نتوصل في الأخير إلى أن السؤال أو التساؤل بشكل أعم هو الذي يحرك الأفكار، فبعد أن كانت فكرة ما مجرد وجود بالقوة في العقل، قام السؤال بإخراجها من هذه الكينونة المنحصرة إلى كينونة أرحب وأوسع إلى حيز الوجود بالفعل.

2-3- الواقع العربي وضرورة التغيير:

يعيش الفرد العربي في مشرق العالم أو مغربه أزمة انتماء رهيبة أزمة تخص انتماءه ونسبته لهذا العالم تحديدا، إذ أصبح البعض يستحي أن يوصف بالعربية أو من أن ينسب لبلاد العرب إنها أزمة هوية من العيار الثقيل لكن هذه الأزمة بالطبع لم تكن وليدة العدم أولا، ولا هي أزمة مزيفة ثانيا، لكن ما أساس هذه الأزمة وبتعبير آخر لم الأزمة؟ وكيف يمكن محاربتها والتخلص منها ومن آثارها؟

"إن غياب تثمين الأفعال يساهم في الإخلال بالتشكيل السوي للهوية الفردية والجماعية" (العيادي و ربوح، فلسفة الفعل من محاولات التأسيس إلى آفاق النقد، 2015، صفحة 13)، فأزمة الإنسان أو الفرد العربي حكاية تبدأ تفاصيلها مع الأنظمة التي مارست على هذا العربي كل أشكال القهر أنظمة أشاعت في نفوس العرب الخوف والجهل فحاصرت الحريات وهددتها، فانتشر الظلم والفساد كنتيجة حتمية عن ذلك وتحولت العدالة الاجتماعية التي كان من المفترض أنها الغاية السياسية الأولى التي بني عليها العقد الاجتماعي الأول إلى ظلم اجتماعي فأصبحت الديمقراطية مجرد شعار –"للاستغباء"- شعار أجوف خال من المعنى.

إن أوضاعا كهذه هي التي كانت وراء إضاعة فرص حقيقية للتغيير، وما نتائج الخراب والدمار التي تبعت ما يسمى بثورات الربيع العربي إلا نموذجا كارثيا عن هذه الفرص الضائعة إذ كان المبتغى في البدء هو الانتقال بالبلاد من وضع سيء إلى آخر أحسن منه، فإذا بها تنقلب رأسا على عقب من السيئ نحو الأسوأ، هذه هي نتيجة الثورات العربية لكن أيعني هذا أن التغيير مقولة لا يقدر عليها العربي؟ وإن كان بمقدوره بلوغها فما هي الشروط التي يقتضيها ذلك؟ وكيف يتأتى لنا الوصول إلى هذا المراد؟

4- شروط تغيير الراهن العربي:

لعل أهم الشروط المطلوبة لتغيير واقعنا اليوم يكمن في إعادة تشغيل العقل العربي، وهنا تتحدث عن ضرورة الانتقال من العقل المستقيل بتعبير الجابري(27 ديسمبر 3/1935 ماي 2010) نحو العقل الفعال، فإذا كانت النهضة الأوروبية تحققت بفعل إعادتها المركزية للعقل وجعل هذا الأخير مناطا للفعل وللاختيار فإن العربي بمكنته القيام بذلك، وهنا سنجد أنفسنا نقيم نوعا من المقارنة بين العقل العربي ونظيرة الأوروبي ولا بأس بذلك فبالأضداد تتضح المعاني، فعندما نتحدث عن "العقل العربي" فنحن نميزه عن العقل اليوناني وعن العقل الأوروبي الحديث" (الجابري، 2002، صفحة 17)وهذا يعني أن للعقل العربي ما يميزه عن غيره من العقول ومع هذا فلا

مناص من القول بان تفعيل هذه الملكة أصبح ضرورة قصوى وملحة استجابة للأوضاع الراهنة سواء منها السياسية أو الاقتصادية التربوية أو الثقافية أو غيرها من المجالات.

كذلك فبتفعيل هذه الملكة فقط يصبح بإمكان الفرد العربي أن يحقق ذاته بل لنقل بإمكانه أن يستعيدها مجددا بإمكانه عند هذه النقطة أن يتحول حسبما يرى مالك بن نبي(1905/ 1973) من الفرد إلى الشخص غير أن هذه الاستعادة أو هذه النقلة تكون دائما رهينة بممارسة نوع من التفكر الحر، التفكر الفلسفي هذا النمط الخاص من التفكير يستند بالدرجة الأولى على العقل باعتباره موجعا أولا.

إن فعل التفلسف كفعل فردي خاص هو الذي من شانه أن يعيد المفكر العربي أولا والوطن العربي ثانيا إلى سباق المعرفة والنمو والازدهار فبواسطة هذا النوع من التفكير الخاص يمكن لكل فرد أن يسترد ذاته أو يضع لنفسه ذاتا متفتحة على الذوات الأخرى ذاتا بإمكانها الإنصات إلى الآخر والاستفادة منه قدر المستطاع.

عندما ينتشر هذا التفكير الفلسفي في الوطن العربي آنئذ وآنئذ فقط يصبح بإمكاننا أن تأمل ونأمل في غد أفضل في ثورة لا تفشل وفي فكرة تثمر "إذ يمكن لثورة أن تؤدي إلى سقوط الاستبداد الشخصي والاضطهاد المغرض أو الطماع لكنها لن تؤدي البتة إلى إصلاح حقيقي لطريقة التفكير وعلى العكس تماما فإن تحكميات جديدة ستظهر وستكون شأنها شأن التحكميات القديمة بمثابة تقييد للجمهور العريض المحروم من التفكير" (السمين، 2015، صفحة 408) وعليه أمكننا أن نستنتج بان الشعوب التي يسود فيها الخطاب الحر والعقلاني هي الشعوب التي يقدر لها أن تتقدم وتتطور وتحرز اكبر الانجازات الإنسانية.

لقد انتهت الثقافة العربية وتتهم على الدوام بالتبعية الفكرية، وكأن ذلك جرم لا يغتفر وإنما أرى بان هذه التبعية (على سلبياتها) لهي بادرة لانطلاقة نحو الأفضل لكن فقط إن كان هناك توازن بين ما نأخذه من الآخر وما نحفظه من تراثنا وهنا يتدخل دور العقل العربي، فهو لا بد وان يكون عقلا فطنا متجاوز الآليات الطمس بأنواعها "فلو كانت الحلول التي نحتاجها موجودة في التراث أو في الحداثة كما هما لكانت المشكلة حسمت منذ وقت طويل ولو كانت الحلول موجودة في إلغاء التراث أو إلغاء الحداثة لما بقينا صرعى التناقض والصراع فيما بينهما ولو كانت الحلول موجودة في إمكانية التوفيق بينهما لما انتظر ها التوفيق طويلا حتى يتحقق أو يفرض نفسه إنها ليست موجودة هنا أو هناك وإنما علينا نحن أن نستخلصها بعقلنا". (غليون، 2006، صفحة 304)

إذن فالحلول التي ينشدها المواطن أو المثقف العربي هي من صميم ابتكاره ذلك أن أهل مكة أدرى بشعابها فكذلك نحن أدرى بأزماتنا وتاريخياتها وانعكاساتها...الخ فكيف نبتغي حلولا جاهزة لها فمن يصنعها يا ترى لأجلنا؟! طبعا لا احد سوانا.

يمكن أن نضيف إلى هذا الشرط الرئيس ضرورة الحوار والتواصل بهدف التوصل إلى فهم أوسع يمكن من خلاله أن يتأتى للمفكر العربي إيجاد حلول يتجاوز بها راهنه

5 خاتمة:

- نستنتج مع نهاية هذا المقال أن فلسفة الفعل هي تلك التي تعين الإنسان على حل مشاكله، فهي التي تنبع تحت ضغط الواقع والسؤال إذ يجب بناء على هذا تجاوز فلسفة الوجود فهي التي تقف وراء شلل الفكر وموته، ولأجل هذا كان التمسك بالفعل خير وسيلة للتغيير والتطوير، كما يجب الإشارة في معرض الحديث عن الفلسفتين إلى أن النقلة من فلسفة الوجود نحو فلسفة الفعل تتم من خلال التساؤل، إذ هو الآلية الوحيدة القادرة على خلق مثل هكذا انتقالات.

- إن التوصيف الذي يقدمه غارودي لفلسفة الفعل على أنها بحث في الغايات يجعلنا مباشرة أمام الهدف من وراء هذه الفلسفة ويبقى أن نشير إلى أسسها: التسامي، الاستقبالية، والإبداع والتجريد. فالتسامي هو تجاوز وقطع وانفتاح على التغيير، أما الاستقلالية فهي بعد النظر نحو ما سيكون نحو هذا المستقبل الأفضل إنها إن صح القول فيها نظرة استشرافية، وبخصوص الإبداع والتجديد فهو خلق للماضي بطريقة أو بأخرى هو أن نعيد –كما يحلو لغارودي القول- لهذا الكون طفولته.

- إن ما يترتب عن القول بفلسفة الفعل هو تلك المفاهيم المفتاحية لبناء الحضارة والرقي بها نحو خلق حضارة إنسانية وهذا يتأتي فقط بالحوار – الحوار الحضاري-.

- يطرح مفهوم فلسفة الفعل آفاقا للتفكر في الفعل وإنعاشا على كافة الأصعدة خاصة فيما يتعلق بالجانب الاجتماعي الذي يفرض التواصل وهو ما أكد عليه هابرماس(Jurgen Habermas 1929) ، أو على الصعيد السياسي من خلال توصيف الحياة السياسية بالحياة النشطة من طرف حنا أرندت(Hannah Arendt 14 اكتوبر1906/ 4 د6يسمبر1975)، أو كذلك –وهو الأهم- من خلال أفعال اللغة مع بول ريكور(Paul Ricœur فيفري 1913/ 20 ماي 2005)، وعند هذه النقطة اتخذنا منعرجا حاسما حاولنا من خلاله عرض أوجه الصحة والخطأ في التصور المعروض عن فلسفة الفعل من قبل غارودي.

- أن نتفلسف يعني أن نفعل، أي أن ننتقل من مجرد طرح تنظيرات فلسفية إلى محاولة تفعيل هذه التنظيرات يجب أن نغير الواقع، فكوننا فلاسفة يقتضي أن نقدم إكسيرا للتغيير والرقي لإعادة الإصلاح، هذا هو المطلب الغارودي

- إن الفعل لا تتوقف حدوده عند الفلسفة التي يؤصل لها بل إن الفلسفة ستشهد تطورا بل ورواجا كبيرا في الآونة القادمة. هذا فقط إذا أمكن للفلاسفة أن يجعلوا منها موضوعا لليومي. ولربما الأصح هو قول: أن يجعلوا من اليومي موضوعا لها، ومن المستقبل هدفا نصب عينيها، هكذا لربما تلامس الفلسفة الأرض ونبتعد بها عن المجردات، ولأجل ذلك كان لزاما على المثقف العربي ان يستغلها باعتبارها مجالا فكريا متميزا يتيح له الخروج من أزمات الراهن هذه والتي نحن في غنى عن إعادة التذكير بها.

وتبقى الرسالة في الأخير أن نفعل أن نغير، أن نجعل من الفلسفة راهنا هذا هو الرهان، أن لا نسمح أبدا بموت الفلسفة، فموتها هو قضاء على المعنى وتغييب للوعي، فهل تتحقق النبوءة القائلة بموت الفلسفة بعد هذا؟

قائمة المراجع:

1. الأنصاري ,ب .ه .(2002) .شذور الذهب في معرفة كلام العرب .بيروت :المكتبة المعاصرة.
2. الجابري ,م .ع .(2002) .*تكوين العقل العربي* .بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية.
3. الرحمن ,ط .ع .(2006) .*الحق العربي في الاختلاف الفلسفي* .الدار البيضاء :المركز الثقافي العربي.
4. السمين ,ر .(2015) .*فلسفة الفعل من محاولات التأسيس إلى آفاق النقد* .الجزائر :منشورات الاختلاف.
5. العيادي ,ع .ا .(2007) .*فلسفة الفعل* .صفاقس :مكتبة علاء الدين.
6. العيادي ,ع .ا & .,ربوح ,ا .(2015) .*فلسفة الفعل من محاولات التأسيس إلى آفاق النقد* .الجزائر :منشورات الاختلاف.
7. الغلاييني ,م .(2005) .*جامع الدروس العربية* .القاهرة :المكتبة العصرية.
8. الوقيان ,ش ,2007) .نوفمبر .(15سؤال الفلسفة .*الرياض*.7 .p ,
9. بوقاف ,ع .ا ,2009) .أفريل .(الفلسفة وسؤال الحقيقة .*مقال غير منشور*.6 .p ,
10. حسين ,ك .(2001) .*نظرية المعنى في الدراسات النحوية* .عمان :دار صفاء للنشر والتوزيع.
11. درويش ,م .(2004) .*ديوان لا تعتذر عما فعلت* .بيروت :رياض الريس للنشر.
12. غارودي ,ر .(1986) .*لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة* .القاهرة :دار النصر للطباعة.
13. غليون ,ب .(2006) .*محنة اغتيال العقل* .بيروت :المركز الثقافي العربي.
14. قنبر ,أ .ب .(1988) .*كتاب سيبويه* .القاهرة :مكتبة الخانجي.
15. كانط ,إ .(2007) .*نقد العقل المحض* .بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية.
16. كريم ,ح & .,ناصح ,ا .(2001) .*نظرية المعنى في الدراسات النحوية* .عمان :دار صفاء للنشر والتوزيع.
17. كورتيس ,ج .(2007) .*مدخل إلى اليسميائية السردية والخطابية* .الجزائر :منشورات الاختلاف.
18. لالاند ,أ .(2001) .*موسوعة لالاند الفلسفية* .بيروت :منشورات عويدات.
19. مسعود ,ج .(2003) .*الرائد معجم ألفبائي في اللغة والاعلام* .بيروت :دار العلم للملايين.
20. هايدغر ,م .(1977) .*نداء الحقيقة* .القاهرة :دار الثقافة للنشر والتوزيع.